حجاجية الحوار في القصة القرآنية
(إبراهيم عليه السلام أنموذجا)

أ. فايزة بوصلاح
جامـــعة وهران

مقدمة

إنّ القرآن الكريم اتخذ القصص سبيلا للإقناع والتأثير، وضمَّن القصة الأدلة على بطلان ما يعتقده المشركون وغيرهم. فقصّة إبراهيم(عليه السلام) من بين هذا القصص، الذي يركّز على الموضوعات المتّصلة بالعقيدة ووحدانية الخالق عزّ وجلّ.

ما يميِّز قصة إبراهيم (عليه السلام) أنّها أبرزت كلمة التوحيد التي نزل بها القرآن، كما أوردها الأنبياء والمرسلين السابقين، فقد نزلت لتثبِّت عقيدة التوحيد بالحجج والأدلّة القاطعة، وكلّها تتّصل بعظمة الله تبارك وتعالى وقدرته. والمنكرون للتوحيد كما ذكرهم الرازي" هم الذين أثبتوا معبوداً سوى الله تعالى، وهؤلاء فريقان: منهم من أثبت معبوداً غير الله؛ حياً عاقلاً فاهماً وهم النصارى، ومنهم من أثبت معبوداً غير الله جماداً ليس بحيٍّ ولا عاقل ولا فاهم، وهم عَبَدةُ الأوثان، والفريقان وإن اشتركا في الضّلال، إلا أنّ ضلال الفريق الثاني أعظم، فلمّا بيّن تعالى ضلال الفريق الأول تكلم في ضلال الفريق الثاني وهم عَبَدَةُ الأوثان"[1].

وقد بيَّنا مِنْ قبلُ أنّ الغاية التي يقوم عليها الحجاج هي تحقيق الاقتناع بالرأي أو بالدعوى المقدَّمة، بالاعتماد على الحجّة والدليل على ذلك. ويجب أن نشير في رحاب هذا التوضيح إلى أنّ الدعوى التي تأسّست عليها قصة إبراهيم(عليه السلام) هي أنّ إبراهيم هو رسول بشير ونذير، وهو من بين الرسل ذوي المكانة عند العرب، وهذا ما ذُكِر في غير موضع من هذه القصة؛ منها قوله تعالى: (**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ**)[الحج78]، وقال تعالى: (**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**)[البقرة 130]، فكأنه تعالى قال للعرب إن

كنتم مقلدين لآبائكم على ما هو قولكم: (**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**)[الزخرف23]، والغاية ههنا جعْل الناس أمّة واحدة، يعبدون خالقهم الواحد الأحد، قال تعالى: (**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**)[الأنبياء92].

أمّا دعوى المشركين فقد قامت على تكذيب الرسول وآيات الذكر الحكيم، قال تعالى: (**قَالُواْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ**)[الأنبياء53] ليتجلّى من خلال هذه الآية اضطرابهم وحيرتهم وتقليدهم الأعمى. وقد وُظِّفت في قصة إبراهيم من الحِجاج ما يخدم دعوى التوحيد، ومنه ما يتعلّق بدعوى الشرك، وقبل تقديم نماذج عن ذلك يجب أن نتناول البناء العام للقصة، حيث بُنيت على الشكل الآتي:

أ - إبراهيم والنبوة:

لقد آتى الله سبحانه وتعالى إبراهيم (عليه السلام) الرشد، الذي أدرك به قدرة الصانع العظيم لهذا الكون، وما فيه من آيات بينات، تدل على حقيقة وجود الله. فآمن بالله إلها واحدا أحدا، كما يبين لنا ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: (**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**)[الأنعام75] .

ب- إبراهيم وقومه المشركون :

يصوّر لنا القرآن الكريم تجربة تأمل إبراهيم (عليه السلام) في ملكوت السموات والأرض بقوله: (**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ**)[الأنعام76] فجملة "**لا أحبّ الآفلين**" في معرض البحث عن الربّ الخالق، تستدعي لدى أهل الفكر والنظر، التأمل في كلّ هذه اللوازم.

وفي مرة أخرى وأثناء تبادله الحديث مع القوم، كان إبراهيم (عليه السلام) ينتظر طلوع القمر، فلما بزغ وملأ نوره الجوانب، وبدا أنه أكبر من الكوكب الآفل الذي تبرأ منه، وجّه أنظار القوم إليه، ودعاهم لتأمله، ثم قال لهم: (**هذا ربيّ**). ولكنه بقي في مجلسه تلك الليلة حتى طلوع الفجر، وعندما تولى القمر إلى حيث لا يراه، وأفل، قال: (**لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي**

لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)[الأنعام77]، ثم اتخذ إبراهيم (عليه السلام) موقفا جديدا، فهو لم يعد يستدرج القوم لئلا ينفروا منه، ولكنه يُعلن أمامهم وبشكل صريح بعد أنْ تجاوز التعريض، إلى أن تلك الكواكب التي أفلت، لا يمكن أن تكون أربابا يعبدها الناس، وأنّ هناك ربّا آخر هو ربه الحق.

لقد أراد إبراهيم (عليه السلام) أن يبث فيمن حوله، روح الشك بالكواكب، حتى أعلن بأن الشمس هي الرب الذي يبحث عنه فهي أكبر الكواكب، وأشدها ضياء وحرارة، وأكثرها فائدة للحياة، وذلك كما يقول الله تعالى: (**فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**)[الأنعام78].

ثم وجه إبراهيم (عليه السلام) وجهه إلى الله الحق الذي فطر السموات والأرض، فهو وحده المتفرد بملكه ولا شريك له أبدا، وكانت صرخته المدوية تلك النابعة من الأعماق بقوله تعالى: (**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)[الأنعام 79].

ويصّور لنا القرآن الكريم دفاع إبراهيم (عليه السلام) الرائع وحججه الدامغة، التي كان يسردها على قومه؛ لكي يبيّن لهم الحقيقة التي لا مناص منها، التي تدعوهم إلى عبادة الإله الواحد الأحد، وذلك بقوله: (**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**)[الأنعام 80-81]

فما نلحظه في المواقف الاستقصائية لسيدنا إبراهيم(عليه السلام) الواردة في الآيات (69-81) من سورة الشعراء، أنّها تضمنت استراتيجية الاستقصاء العلمي بمراحلها الثلاث –على ما ذكره سليمان القادري- وهي على النحو الآتي: [2]

المرحلة الأولى- مرحلة الاستكشاف:

وتبدأ بلفت إبراهيم (عليه السلام) نظر أبيه وقومه إلى معبوداتهم التي ظلوا لها عاكفين، أي كان يوجههم لاستكشاف حقيقة ما يعبدون، من خلال سؤال استقصائي موجّهٍ: ما تعبدون؟.

المرحلة الثانية: مرحلة الاختراع أو الاكتشاف:

تتضمن قيام إبراهيم (عليه السلام) بتوجيه اهتمام أبيه وقومه، إلى بعض سمات وقُدُرات ما يقومون بعبادته، مثل قدرتها على السمع، أو تقديم النفع أو إبعاد الضرر، وذلك لإتاحة الفرصة لقومه لاكتشاف حقيقة هذه الآلهة التي لا تستحق العبادة.

المرحلة الثالثة- مرحلة التطبيق:

وفيها يقوم إبراهيم (عليه السلام) بتطبيق الأفكار التي توصل إليها في المراحل السابقة، وهي أنّ هذه الأصنام ليست ربّا يستحق العبادة، لانتفاء صفات الربوبية عنها.

جـ- تحطيم الأوثان والأصنام:

توجّه إبراهيم (عليه السلام) إلى قومه من عَبَدَةِ التماثيل يحاورهم عن اتخاذها آلهة، ويبيّن لهم الضلال والخزي في عبادتها، معتمدا على البرهان العقلي أنّ ما يعبدون منها إن هي إلا جمادات لا تنفع ولا تضرّ في شيء، وهي من صنع أيديهم، فمحال أن تكون محلا للعبادة والتقديس.

ويبرز القرآن الكريم ذلك الاحتكاك العقائدي الذي كان يثيره إبراهيم(عليه السلام)، من حُماة الجهالة في بابل، ومن بينهم أبوه آزر، وفيه يقول الله تعالى: (**إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**؟)[الأنبياء52] فيقول ابن عاشور في هذا السياق:" فالسؤال بكلمة "ما" أنّه لطلب شرح ماهية المسؤول عنه، والإشارة إلى التماثيل لزيادة كشف معناها الدال على انحطاطها عن رتبة الألوهية، والتعبير عنها بالتماثيل يسلب عنها الاستقلال الذاتي"[3].

فالمفروض ههنا أن تأتي الإجابة عن هذا السؤال بما يؤثّر على النفوس وتطمئنُّ لـه العقول، لكنّها كانت غير ذلك"[4]

(**قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ**)، إذ نلاحظ غياب العقل في هذه الحجة، فعبادة الأصنام لديهم كانت مجرّد تقليد للآباء والأجداد؛ يقول أبو حيان:" وكان سؤاله إيّاهم عن عبادة التماثيل وغايته أن يذكروا الشبهة في ذلك فيبطلها، فلما أجابوه بما لا شبهة لهم فيه، وبدا ضلالهم؛ ردّ عليهم إبراهيم قائلا: (**لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**)[الأنبياء54]"[5]، فأكّد لهم بالضمير "أنتم" حكم الضلال على المقلدين، وجعل الضلال مستقرا لهم. ولكنّ قوم إبراهيم (عليه السلام) لم يكترثوا بهذا الردّ؛ بل راحوا يمزجون هذا الموقف بالجدّ والهزل فقالوا: (**أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ**؟) والمراد باللعب هنا لعب القول؛ وهو المسمى مزحا، وأرادوا بتأويل كلامه بالمزح التلطّف معه، وتجنّب نسبته إلى الباطل؛ استجلابا لخاطره؛ لمّا رأوا من قوة حجته"[6].

لتأتي الإجابة بعدها مقترنة بـ"بل"، وهي من الرّوابط الحِجَاجيّة التداوليّة التي تفيد الإضْراب؛ أي نفْي الحكم السابق عليها، وإثبات ما بعدها. فالظاهر أنّ (بل) للإضراب عن جملة محذوفة، أي قال: لم أفعله إنما الفاعل الحقيقي هو الله، وأسند الفعل إلى كبيرهم على جهة المجاز"[7].

ولكي يبطل دعواهم أكثر عَمَد إبراهيم(عليه السلام) إلى محاجّتهم بطريقة علمية أكثر إثارة لهم؛ إذْ قام بتكسير الأصنام بكاملها، وترك كبيرها شاهداً على ضلالهم، لذلك قالوا: (**أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ**؟) فجاء الاستفهام تقريريا إنكاريا، يقول الجرجاني:" الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان وإنكار له لما كان، وتوبيخ لفاعله عليه"[8]. فأجاب إبراهيم(عليه السلام) بما سيكون دليله الأقوى عليهم، فقال بالاعتماد دائماً على رابط حجاجي تداولي وهو الأداة "بل" التي تفيد الإبطال –أي إبطالٌ لأن يكون هو الفاعل لذلك: (**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**). يقول الزمخشري:"هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع، لا يتغلغل فيها إلاَّ أذهان الراضّة من علماء المعاني، والقول فيه إن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر إلى الصنم، وإنّما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها

على أسلوب تعريضي يبلّغ فيه غرضه من إلزامهم الحجّة وتكبيتهم"[9]. فجاء الخبر في معنى التشكيك، أي لعلّه فعله كبيرهم. أما ضمير" فاسألوهم" شمل جميع الأصنام ما تحطم منها وما بقي، فأراد إبراهيم (عليه السلام) أن يقنعهم بأنّ حدثا عظيما مثل هذا، يوجب أن ينطقوا بتعيين من فعَله بهم.

ثم جاء إبراهيم (عليه السلام) يدعو قومه في استهزاء وسخريّة إلى سؤال آلهتهم عمن فعل بهم هذا، قال تعالى: (**قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِنْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**)[الشعراء:72-73] لكّنهم يجيبون بما هو تأكيد وإقرار للحجّة التي قدّمها إبراهيم فقالوا: (**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ**)، ليتساءل إبراهيم في حضرتهم كيف أنّهم يعبدون ما لا ينفعهم أو يضرّهم، ويدعوهم في الوقت نفسه إلى التعقّل. ولكن ظلّ القوم معرضين عن دعوة النبي إبراهيم، منكرين لآرائه وحججه، على الرغم مما تحمل من صدق المعنى، ووضوح البرهان، وملامسة العقل والقلب.

ولكن النبي الكريم لا يأبه لانصراف القوم وتعنتهم، بل يجيبهم بالتّهديد، مقسما بأنه سيكيد أصنامهم ويحطمها عندما تحين له الفرصة، وذلك بقوله تعالى: (**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**)[الأنبياء57]. فدعاهم إبراهيم(عليه السلام) إلى العودة إلى عقيدة التوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد، بقوله تعالى: (**قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)[الأنبياء66-67]، جاءت "**أفٍّ**" هنا بمعنى الضجر، لضيق نفس إبراهيم من الغضب على قومه، "وتنوين "أفٍّ" يسمى التنكير والمراد به التعظيم، أي ضجرا قويّا لكم"[10]. فجاء الاستفهام إنكاريا عن عدم تدبّر القوم في الأدلة الواضحة من العقل والحس، إنها إذن دعوة إلى الحق، ودعوة إلى العقل والإيمان.

د- المعجزة الإلهية:

فلما غلبهم إبراهيم (عليه السلام) بالحجة القاهرة، لم يجدوا مخلصا إلا بإهلاكه، فاختار القوم أن يكون إهلاكه بالإحراق. ويريد الله تعالى أن يجعل من هذه الحادثة برهانا حقا، وشاهدا ساطعا، على ألوهيته وربوبيته، وأنه وحده يقدر أن يتصرف بشؤون الكون وما فيه من قوانين ونواميس وفق ما يشاء، فأمر الله سبحانه وتعالى من عليائه النار قائلا: (**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**)[الأنبياء69].

ولعلّ أهم سمة لحظناها من خلال عرض أحداث قصة إبراهيم(عليه السلام) هي حاجته إلى الخالق ربّ العالمين، وعناية الله عزّ وجلّ به، ومدّه بمعجزات وسمات معيّنة، مما يدّل ذلك قوله تعالى: (**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ**)[الأنبياء51]، وقوله تعالى أيضا: (**وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَالصَّالِحِينَ**)[البقرة130].

ومن خلال بيان الهيكل العام للقصة نلاحظ ذلك الانسجام والتناسق بين مقاطعها؛ فالمقطع الأوّل كان حول موضوع "الإعداد والتسديد لنبوة إبراهيم(عليه السلام)، ليأتي المقطع الثاني عرضاً للاستدلال العقلي والحوار المباشر بين نفسه ثم بينه وبين قومه حول عقيدة التوحيد، لينتهي الأمر في المقطع الثالث حيث جاء الخليل ليهدي النّاس كافّة إلى عبادة الخالق عزّ وجلّ.

فمعظم الأساليب الاستفهاميّة التي وَظّفت في قصة إبراهيم (عليه السلام) كانت عبارة عن استفهام إنكاري وتوبيخي؛ أي إنكار فعل المخاطبين وتوبيخهم على موقفهم المتناقض مع الحقيقة المتداولة لديهم ومع العقل، وهذا كما وضّحناه من خلال النماذج السابقة.

في خلاصة هذا البحث نجد أنّ إبراهيم (عليه السلام) لمّا اعتزل قومه في دينهم وفي بلدهم، واختار الهجرة إلى ربّه إلى حيث أمره، لم يضره ذلك ديناً ودنيا، بل نفعه فعوّضه من ذريته أنبياء وهذا من أعظم النعم في الدنيا والآخرة.

- إنّ الخليل اعتزل الخلق، قال:" (**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**)[مريم48].

- بارك الله في أولاده وذريته فقال: (**وَوَهَبْنَا لَهُ إسحاق وَيَعْقُوبَ وَكُلاً جَعَلْنَا نَبِيّاً**).

- ثم قال تعالى: (**وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً**)، واستجاب الله دعوته في قوله: (**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ**)[الشعراء84].

- صيّره (ﷺ) قدوة حتى ادّعاه أهل الأديان كلهم بأبي المسلمين، وقال عز وجل: (**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**)[الحج78]، (**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتبع مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا**)[النحل 123].

- وأنه تبرّأ من أبيه في قول الله تعالى: (**فَلَمَّا تبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إبراهيم لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**)[التوبة: 114]

- وتلّ ولده للجبين ليذبحه قال تعالى: (**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتلَّهُ لِلْجَبِينِ**)[الصافات 103]، وفداه الله تعالى بذبح عظيم: (**وفديناه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**)[الصافات107].

- أسلم نفسه فقال: (**أَسْلَمْتُ لِرَبّ العالمين**)[البقرة131]، فجعل الله تعالى النار عليه برداً وسلاماً فقال تعالى: (**قُلْنَا يا نَّارُ كوني بَرْداً وسَلامَا عَلَى إِبْرَاهِيم**)[الأنبياء69].

- أشفق (عليه السلام) على هذه الأمة فقال: (**رَبَّنَا وابعث فِيهِمْ رَسُولاً مّنْهُمْ**)[البقرة 129].

- أشركه الله سبحانه وتعالى في الصلوات الخمس، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ):« قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَالسَّلاَمُ كَمَا قَدْ عُلِّمْتُمْ »[11].

- في حق سارة قال تعالى: (**وإبراهيم الذي وفى**)[النجم37].

- جعل موطئ قدميه مباركاً: (**واتخذوا مِن مَّقَامِ إبراهيم مُصَلًّى**)[البقرة 125].

- عادى كل الخلق في الله تعالى فقال: (**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ العالمين**)[الشعراء77].

- اتخذه الله تعالى خليلاً على ما قال: (**واتخذ الله إبراهيم خَلِيلاً**)[12].

- "الكعبة" وما يرتبط بإبراهيم (عليه السلام) بالعرب، فيقول الطاهر بن عاشور:" الكعبة التي بناها أول من حاجّ الوثنيين بالأدلة، وأوّل من قاوم الوثنية بقوة يده فجعل الأوثان جذاذاً، ثم أقام لتخليد ذكر الله وتوحيده ذلك الهيكل العظيم، ليعلم كل أحد يأتي أنّ سبب بنائه إبطال عبادة الأوثان، وقد مضت على هذا البيت العصور، فصارت رؤيته مذكرة بالله تعالى، ففيه مزية الأولية، ثم فيه مزية مُبَاشَرة إبراهيم (عليه السلام) بناءه بيده ويد ابنه إسماعيل دون معونة أحد، فهو لهذا المعنى أعرق في الدلالة على **التوحيد** وعلى **الرسالة** معاً، وهما قطبا إيمان المؤمنين، ولا يشاركه في هذه الصفة غيره.

ثم سَنّ الحجّ إليه لتجديد هذه الذكرى، ولتعميمها في الأمم الأخرى، فلا جرم أن يكون أولى الموجودات بالاستقبال، لمن يريد استحضار جلال الربوبية الحقة، وما بنيت بيوت الله مثل المسجد الأقصى إلاّ بعده بقرون طويلة، فكان هو قبلة المسلمين"[13].

بعد هذا العرض نلاحظ أنّ أهمّ شيء يقوم عليه الحجاج؛ هو تقديم الأطروحات التي تدعو العقول إلى التدبّر الموضوعي والواعي في قضية التوحيد، بغية الاقتناع وبناء الرأي المعقول. فهو يمثّل قوّة تدفع المخاطب إلى التفكير والتأمّل من أجل الحصول على الإقرار بحقيقة معيّنة، يتم ذلك بوساطة أدلّة مخصوصة.

الهوامش والمراجع المعتمدة

(1) مفاتيح الغيب، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ - 2000 م، ط1/ : 21/ 190.

(2) سليمان أحمد القادري، الاستقصاء العلمي في القرآن الكريم: سيدنا إبراهيم نموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، عدد28، مج:أ، 2007، ص: 17.

(3) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت 1393هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط1/ 1420هـ/2000م: 17/ 67.

(4) الأنبياء: 52-53-54.

(5) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 299.

(6) الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 17/ 70.

(7) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص: 302.

(8) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 89.

(9) الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، تح: عادل أحمد عبد الموجود، ج4، مكتبة العبيكان/ السعودية، ط1/ 1418-1998: 152/4.

(10) الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 17/ 76.

(11) سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل القرآن، ج11، ص93.

(12) النساء 125. " وإبراهيم بالسريانية أب راحم، و**الخليل** فعيل بمعنى فاعل، وهو من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله." - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج6، دار بن باديس، الجزائر، ط1، 1997، ص: 470.

(13) الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: 2/ 32.